محفوظ عبد الرحمن

ما أجملنا!

مسرحية فى فصل واحد

برولوج

سيدة مسنة :

- لقد جئتكم من عزلتى الباردة لأحكى لكم حكاية الليلة . ابتعدت عن الناس بحثا عن الحكمة . ولكن يبدو أننا لن نجد الحكمة لا فى الزحام ، ولا فى الخلاء . رحلت بعيدا خوفا على قلبى أن يطعن ، فطعن . يبدو أن الإنسان قاتل نفسه . وحدى نسجت أحلى الحكايات ، فلما سطعت الشمس على الجليد ، إذا به قد ذاب . وأحلى الحكايات صارت أمرّ الحكايات .

- لقد جئتكم من بين دفتى كتاب . فهوايتى أن أكون شهر زاد الكلمات . ولكن فى الكتب أيضا « الكل باطل . . وقبض الريح . . » وما يقال . . قيل . ولا جديد تحت الشمس . تحكى شهر زاد لتسليكم ، فإذا بالقصة تسلبه خفق القلب . من لى بكلمات تدخل البهجة على القلوب . . . شرط أن تكون نقية كقطرة ندى .

- لقد جئتكم من أبعد العصور . فأنا عاشقة للعصور . عايشت قابيل وهابيل ، والأخ يقتل أخاه . ومازال الأخ يقتل أخاه . عايشت الحسين يموت عطشا ، ومازال الحسين يموت عطشا ، عايشت السندباد تائها فى البحار ، ومازال السندباد تائها فى البحار ، عايشت الحلاج يقتل بسيف عدوه وورد صديقه ، ومازال الحلاج صريع العدوّ والصديق .

- رغم أننى أتيت إليكم من بعيد جداً . إلا أننى أعرفكم . أنتم تريدون أن تسمعوا حكاية مزيفة . مثيرة ، منسوجة بالذهب ، مروية بالنبل . تريدون حكاية تجوب الدنيا من أقصاها إلى أقصاها . ولابد أن تجعل القلب يرتجف . فما أمتع رعشة الفؤاد حتى بالحزن قُبيل النوم . لكننى للأسف لا أملك المقياس الذى أعرف به قدر الحزن الواجب ، وقدر الحزن الزائد ، وليس فى يدى ميزان أقدر به كم الدموع التى يجبُ أن تكون . . وكمْ الدموع التى يجب أن تحبس .

- أنا خير من يحكى . فأنا أم . هززْت الطفل وليدا ، وحكيت وكان الطفل ينام . فلم يكن قد عرَف بعد أن الحكايات تسلبُ النومَ من الجفون . وأنا امرأة ، جالست الرجل قويا وضعيفا ، وحكيت فلقد كنت أظن أن الهمومَ تسلبها الحكايات .

لكننى رغم ذلك كله مازلت طفلة لم تتعلم ما يجبُ أن يُحكى ، وما يجب ألا يحكى .

- لى ككل من عاشوا فى الخيال جواد أسطورى عبَرتُ به الزمن منذ أن تهجّى الإنسان كلمات : (أنا وبعدى الطوفان) إلى قمة الحضارة حيث تعلم أخيرا كلمات : (أنا وبعدى الطوفان) . وفتشت فى أحداث الزمن فلم أجد ما أُسليكم به . فالتاريخ كله كرسى ، وفكرة ، وكسرة خبز ، وخفقة قلب .

- فأما الكرسى فإنه لا يسلى . بعد أن تقاتل عليه الآباء والأبناء . وأما الفكرة فهى خطر علينا ، فنصف من قُتلوا عبر القرون ، قُتلوا من أجلها . وأما قصة الخبز فهى متجهمة لا تليق بالليالى الجميلة . وأما خفق القلب فهو الفداء الوحيد وسط الحرائق .

● ومع ذلك علىّ أن أحكى . فما جئته من أغوار الوحدة لأعتذر لكم . لذلك أحكى لكم عن رجل سعيد غاية السعادة ، فهو والٍ لإمارة كبيرة . يحكمها بالعدل ، وإن كان شعبه لسوء الحظ له رأى آخر . وأحكى لكم عن زوجته الأميرة السعيدة . فكيف لا تكون سعيدة من تحكم إمارة كبيرة . فإذا أصابته نالت ثناء الناس ، وإذا أخطأت لاموا زوجها . وأحكى لكم عن وزير الإمارة ، هذا الرجل الذى يعيش ليله ونهاره فى خدمة مولاه . لعله يرضى . بل وأحكى لكم عن حكايته ، وكيف تكون القصور بلا جوار ؟!

● غايتى أن أحكى لكم عن قوم سعداء ، يلمعون ببريق النبل ، وينطقون الحكمة ، ويركبون ليل نهار جياد العدل . فما اروعهم . وما أجلهم .

* * *

يرتفع الستار ببطء شديد . وربما بصرير ، كأنه صرير باب عتيق . ومن خلال إضاءة خافتة جداً ، تعلو ببطء شديد ، وعبر أحداث الجزء الأول من المسرحية . فنحن أمام موقف يحمل داخله أسراراً ، ما كان لها أن تعرف لولا أنه حدث ما سنراه .

العرض لا يهم . وإن كنت أرى أنه ليس الآن . وأتوهم أنه تجريدى رغم الإطار التراثى . وبالتالى فالأزياء لا تعبر عن عصر معين ، إنما هى مجرد أزياء تاريخية تجمع بين الجمال ــ الذى يفرضه المستوى الاجتماعى على الأقل ــ وبين الوشاية بوجدان الشخصيات .

والمكان – أيضا ــ لا يهم فنحن فى أحد القصور التى يسكنها الوالى عبر عاصمته غير المحددة وحدوده الجبلية . وربما توحى الحدود الجبلية بامتدادات الدولة الإسلامية فى العصر العباسى إلى الهند أو غيرها من دول شرق آسيا وشمالها . لكنها أيضا قد توحى بالأندلس حيث كان الخارجون يلجأون إلى الجبال الجليدية .

وقد يعزز الإيحاء الثانى الرفاهية الأندلسية التى كانت تدفع لرحلات المتعة ، وهى نفسها التى دفعت والينا ، وزوجته ووزيره ، ووصيفة الأميرة إلى هذه الرحلة .

والجو عامة فى البداية : إضاءة ، وموسيقى ، وحركة ، يوحى بجو الهدوء الذى يسبق العاصفة .

وعندما يرتفع الستار يكون الوالى مشغولا بالحديث مع حاجبه كافى

ملاحظات شخصية :

● أفضل أن يكون هناك أكثر من ستار ليوحى ذلك بكشف الأسرار .

● الإضاءة التى تبدأ خافتة تصل إلى قمتها من خلال التطور الدرامى ، وبإحساس المخرج .

● قد يغرى النص المخرج بعمل بابين للمكان . لكننى أرى أنه من الأفضل عمل باب واحد . أو على الأقل يكون الباب الثانى مغلقاً .

الوالى : أنا مشغول جدا يا كافى . مشغول بهذه البلاد ، ورخائها ، وعزتها . لكن بعض أبنائى يعبثون فى الجبال ، ويعطلون مسيرتى . أنا أعرف أن الأمر ليس أكثر من لعب أطفال . ولكن ما رأيك أن هذا اللعب يعطل نصف جيشى ، ويأكل نصف مواردى ، ويقلق راحتى . وأنا اعتقد أنهم ما كانوا يستطيعون شيئا لولا بدر البشير . هذا الولد هو الذى يضللهم ، ويدخلنى فى حرب غالية الثمن ، رخيصة الانتصار .

الحاجب : كلفتنا الكثير . لكنها لن تكلفنا الآن سوى دينار .. هو ثمن الخنجر . . . الذى سيُطعن به بدر البشير وهو نائم مطمئن فى وكره البعيد .

الوالى : هذا معناه أنك استطعت أن تدس بينهم رجلا من رجالك .

الحاجب : وجدت ذلك صعبا ، فالتقطت واحداً منهم .

الوالى : أتثق فيه ؟

الحاجب : إنه صديقه . ولا أشرس من صديق انقلب على صديقه .

الوالى : ستكون مكافأتى له بقدر قلقى الآن . أريد أن أنام ولو ليلة واحدة بعمق . ورحلتى هذه التى بدأت برؤية البحر ، أريدها أن تنتهى برؤية رأس بدر البشير وأن أثق فيك يا كافى . لكننى أثق فى النتائج أكثر . ولن يسوءنى أن أنتظر قليلا ، لكننى سأفزع إذا ما عدت إلى عاصمتى بالقلق . فاعمل شيئاً من أجلى . ودع الأمر سرا بيننا ، فحتى أقرب الناس يعطون قلوبهم لمن يُطعن ، وينسون لماذا نفعل ذلك .
(يدخل تنوير وزير الوالى ــ ينحنى له)

الوالى : جئتَ فى وقتك يا تنوير . فلقد كنا نتحدث عن أولادنا فى الجبل . يقولون لى إنهم هدّدوا حتى بعض الطرق . تمادوا كثيراً يا تنوير . ولقد تساهلنا معهم كثيراً . لذلك فأنا أطلب منك أن تذكرنى حين عودتنا إلى العاصمة ، حتى أعطيهم درساً فى الأدب . وأعيدهم إلى أحضاننا ، كما كانوا دائماً ، أولاداً مطيعين ، أوفياء ، بررة .
(تدخل الأميرة ، وخلفها وصيفتها سفر)

الأميرة : يكاد يقتلنا الملل فى هذه الرحلة . لقد ضقنا بالعاصمة لأن كل ما يحدث فيها يتكرر . وأتينا إلى هنا بحثا عن الجديد . فإذاً لا شىء يتكرر

لأنه لا يحدث شىء على الإطلاق . استنفدنا كل وسائل اللهو .

سفر : حتى خيال الظل الذى كنا نراه ممتعا فى العاصمة .. صار مملاً هنا .

الحاجب : أخفى عنكم مفاجأة كبيرة

الأميرة : قلها . فمجرد أن أعرف أنك تُعِدّ شيئا سيسليني ، حتى لو كنت تعد لا شىء . وفقط تشوقنا إلى ما لا يستحق

الحاجب : فى الخارج عراف بارع .

الأميرة : هذا مدهش يا كافى . فلا أحب إلى القلب من الأكاذيب التى تلبس رداء الصدق .

الوصيفة : مولاتى . بعض العرافين ماهرون . أنسيت العراف السمْرقندى ؟ لقد أدهشنا بما قاله عن ماضينا . وما قاله عن مستقبلنا تحقق بعضه .

الأميرة : أو تظن هذا ؟ [للحاجب] هات صاحبك . ولعله يجيد الكذب . فنحن فى حاجة إلى التسلية .
[الحاجب يخرج]

الوصيفة : الكثير منهم يكذبون . لكن السمرقندى لم يكذب فى شىء .

تنوير : عليه اللعنة . قال إننى سأسقط من فوق شىء عال . وسقطت من فوق جوادى .

الأميرة : أسوأ من السقطة : الفضيحة . كان منظرك مضحكا يا تنوير .

تنوير : مع أننى فارس بارع .

الوالى : أظن أن هذه السقطة كانت برهانا ساطعا على العكس .

تنوير : لكل فارس سقطة .

الوالى : إذا كانت واحدة ، فالأمر هين .
[يدخل العراف ، لا نكاد نحس بدخوله ، إلا عندما يلتفتون إليه . ليس مزوّق الثياب مثل العرافين فى العصور الماضية .. والحالية ، ولا أشعث اللحية . بل هو بسيط جدا . لكن تأثيره قوى ، وشخصيته آسرة ، وصوته آمر رغم رقته . ويدوم تأمله لحظات قبل أن يستطيع أحد النطق .]

العراف : سادتى . أنا أعرف الكثير . وإذا كانت آذانكم قادرة على الاستماع ، فسيمضى دهر قبل أن أعرف الصمت . شرْطى الوحيد ألا يسألنى أحد كيف عرفت . وفى سوى ذلك أنا مفتوح الصدر لكل الأسئلة . ولا أظنكم ستفعلون . بل يدهشنى أن ترغبوا فى رؤيتى . فما سأقوله تعرفونه جيدا . فالماضى كله مرصود فى خزانات عقولكم . ولست من الذين ينسجون الأباطيل عن المستقبل . ولذلك كله أظن أنه ليس لوجودى فائدة . ولكنكم ربما كنتم تسعدون لأن شخصا ما استطاع أن يكشف الستار عن بعض ما دُفِن . مهارة تتسلون بها . لكننى فى الحقيقة لا أراها شيئا مسليا . وأحذركم أيها السادة أنكم لن تتسلوا .

الوالى : مقدمة بارعة لأفاق من نوع جديد .

العراف : قدْح لا أستحقه من مولاى الذى ارتجف قلبه عند دخولى .

الوالى : [غاضبا] أنا ؟! أرتجف منك أنت ؟!

العراف : هذا أول ما أكشفه من أسرار .

الأميرة : لا تغضب يا مولاى . فنحن لا نغضب إلا ممن يستحق ذلك . وهذا الرجل أتى ليزيل عنا الملل . ويبدو واضحاً أنه يستطيع ذلك . فهو مختلف بعض الشىء . وهذا شىء مبهج .

العراف : لو شئتُ قلت لمولاتى ماذا أكلت خلال الأيام الماضية .

تنوير : أتصادق خدم المطبخ ؟

العراف : وأن أقول للوزير كم مرة سقط من على جواده ..

[يسود الصمت لحظات]

تنوير : وتتسمع أيضا من وراء الأبواب ؟

العراف : إذا رفضتم التصديق ، فكل ما أقول منهم . ولا يشغلنى أن تصدقونى أو تكذبونى . يكفينى أن أقرأ داخلكم . فأنا أيها السادة أرى الآن عقولكم كما لو كانت سوقاً يُرى من شباك

ورغم اختلاط الحابل بالنابل فى رؤ وسكم ، إلا أننى أستطيع مع ذلك أن أرى ما تفكرون فيه .

[يصمتون ، وهو يدير بصره فيهم]

الوصيفة : لا ريب فى أن هذه لعبة غريبة ، لم نألفها من قبل .

[ومازال العراف يتأملهم . ثم يتوقف عند الملكة]

العراف : أنوف .

الأميرة : أنوف ! من أنوف هذا ؟!

العراف : ألا تعرف مولاتى شخصا بهذا الاسم ؟

تنوير : أنوف هو أخى . لكنه مات منذ سنوات .

الوصيفة : ولماذا تتذكره مولاتى الآن . لقد قدم العهد به . ونسيناه جميعا ، أو تناسيناه .

الوالى : لماذا أنوف بالذات ؟!

الأميرة : وجه من عشرات مروا فى خيالى . لكنه لم يتوقف إلا عند هذا . [للعراف] لماذا ؟

العراف : لأنه الوجه الذى شغل خاطرك .

الوصيفة : ولماذا يشغلها أكثر من غيره . كان وزيرا لمولاى . ربما شغله هو . وكان أخاً للوزير ، ربما شغله هو . أما مولاتى فلماذا تذكره ؟

الوالى : هذا ما أسأل عنه .

العراف : لماذا لا نعود إلى الوراء . . إلى سبعة عشر عاما . . حين مات أنوف ؟

الوصيفة : على بُعد ما حدث ، نتذكر هذا . فلقد تقلبت الأيام ، والأيام من عادتها التقلب ، فأُدخِل أنوف السجن . وبعد شهور من ذلك مات فيه .

العراف : ولماذا سجن ؟ [وقبل أن يجيبه أحد] أى سؤال ! الناس فى هذه الولاية يحبسون لما لا نعرف ، ولما نعرف ، ولما هو خطير ، ولما هو مثير للسخرية . المهم فى قصتنا أن أنوف كان محبوساً . وعندما يحبس النجار ، ينسى . وعندما يحبس التاجر ، يجد من يتوسط له . أما عندما يحبس رجل كأنوف ، فيجب أن يقتل . ومثله كانوا يعلقون على أسوار المدينة كل يوم ، ومتعة كانوا يخوزقون . لكن أنوف كان شخصاً آخر ، فالعامة كانوا يحبونه . ولذلك كان عليه أن يموت غيلة .

الوالى : لا أظنك تتهمه بقتله .

العراف : كلمة «اتهام» لا تناسبنى . فأنا لست قاضيا .

الأميرة : لا أحد هنا من الممكن اتهامه بشىء كهذا . فلقد كان أنوف منا . وإذا كان الوالى قد غضب عليه . فذلك كان غضبا عابرا لا شك أنه زائل بطبيعته . وكنا جميعا ننتظر خروجه : الوالى الذى كان يحبه . وتنوير أخوه . كلنا كنا ننتظر عودته ، لكنه مات فى الحبس ، كما يموت أى شخص .

العراف : هذا ما يقال . لكنكم جميعا تعرفون أن هذا لم يحدث . ولقد جئت لألعب اللعبة التى تسليكم : أقول لكم ما حدث . وما حدث أنتم تعرفونه

الوالى : جئت يا هذا لكى تسلينا . فإذا كنت غير قادر على هذا انصرف . فنحن لا نبحث عما يضايقنا .

العراف : ولماذا يضايقك يا مولاى الحديث عن موت أنوف ؟

الوالى : لأنه كان عزيزا علىّ . .

العراف : ربما . ولست أدرى العلاقة بين إعزازك له وإرسالك له ليلة موته . .

الوالى : هذا شىء لا يطاق . أخرج من هنا [ينادى] يا كافى . . يا كافى . .

الأميرة : أعترف أن الفضول قد انتابنى . ولا أعرف السبب فى أن يرسل له الوالى . وهى قصة لم أسمع بها من قبل . فلماذا لا نسمع الرجل بهدوء ؟

العراف : فى تلك الليلة الباردة تسللت جارية من القصر إلى السجن . وفتحت لها الأبواب ، فلقد كانت تحمل خاتم الوالى . وذهبت لتقدم الطعام الشهى إلى أنوف . لكن الطعام الشهى كان يحوى السم داخله .

الوالى : هذا كذب !

العراف : أعرف أنك ستقول هذا . لكننى أقرأ عقلك وهو يؤكد كل ما قلت .

الوصيفة : هذا جنون . فالوالى ليس مضطرا لشىء كهذا . لو كان يريد موته ، وأومن أنه لم يرده ، كان يكفى أن يصدر أمره بذلك .

العراف : ويثور العامة . ويلجأ الرجال إلى الجبال . لا ليس هذا ذكاء يا سفر . أليس اسمك سفر ؟ اسم أطلقه عليك الوالى السابق بعد عودته من رحلة طويلة . .

الوصيفة : هذا ما لايعرفه إلا القليلون . .

العراف : ومع ذلك فالوالى لم يقتل أنوف . .

الوصيفة : ماذا ؟

العراف : فعندما ذهبت الجارية . وجدته صريعا . لكنها أرادت أن تفوز بالجائزة التى وعدها بها الوالى ، فعادت لتعلق موته على يديها . وإلى الساعة كان الوالى يظن أنه قاتل أنوف . لكننى يا مولاى أبرئك من هذا . وهكذا ترى أننى لست غليظا دائما .

الوالى : أنت تحاول أن تلعب بنا . لكننا لسنا لعبة فى يدىّ شخص مثلك . [ينادى] يا كافى . . يا كافى . . أيها الحرس . .

العراف : لقد بدأنا اللعبة ، وعلينا أن نتمها . لقد ذكّرت الأميرة بشدة بوجه أنوف . وبدأنا نستعيد ليلة مصرعه . ولن نتوقف قبل أن نعرف ماذا حدث .

الوصيفة : إذا كان لى حق الكلام ، فأنا أوافق على ما يقوله هذا الرجل فمن واجبنا أن نعرف ما حدث . وإذا لم يكن لى حق الكلام . فسأتبعه إلى آخر الدنيا لأعرف منه الحقيقة .

العراف : الأمر لا يحتاج إلى هذا . فأنا لن أخرج من هذا المكان إلا إذا عرفنا الحقيقة .

تنوير : أنت هنا برغبتنا . أتظن أنك جئت برغمنا . أنت لا تزيد عن مضحك أو مهرج . وإذا تماديت [يخرج خنجره] سأقتلك .

الوالى : لا يا تنوير . لا . اغمد خنجرك . لن تسيل دماء هنا . ثم لماذا نخاف من الحقيقة ؟ أنا لا أخشى شيئا . تكلم أيها الرجل . .

العراف : مولاى اطمأن قلبه ببراءته من دم أنوف . ولكن تنوير قلق . فهو أيضا أرسل إليه فى الحبس . لم يرسل جارية ، فهو لا يجيد التفاهم مع النساء ، ولا يثق بهن . ولكنه أرسل إلى أنوف واحداً من رجاله بطعام شهى . . مسموم .

تنوير : هذا غير صحيح . فأنوف أخى . أنسيت هذا أيها الرجل ؟

العراف : أنسيت أنت عندما فعلت ذلك ؟

الأميرة : هذا كثير . قابيل وهابيل مرة أخرى . أيقتل الأخ أخاه ؟ ولكن لم لا ؟ لقد خلف تنوير أخاه على كرسيه . وليس أغلى من الكراسى على أصحابها . خشى تنوير أن يعيد الوالى أنوف إلى مكانه . فقرر أن يتخلص منه قبل أن يحدث هذا .

العراف : هكذا فكر تنوير . لولا عائق صغير منع رجله من تنفيذ مأربه هو أن أنوف كان ميتا عند وصول الرجل . ولأنه أراد إرضاء تنوير صوّر له أن الأمر قد تم على يديه .

تنوير : لقد اتهمتنى ظلما . لكن اتهامك لم يقف على ساقين .

سفر : أكان الجميع يريدون قتل هذا الرجل الذى لم يكره أحدا فى حياته ، ورفعت يدُه عن الأذى ، وأحب الجميع طيبين وأشراراً . لقد كان خيْرا ، ونُورا ، ونسمة . فكيف يُكره إلى هذا الحد ؟ لا . . لا أصدق هذا . ألف دليل لا يجبرنى على أن أصدق أنهم كانوا يكرهون أنوف . كان الحب فى عيونهم ، وأقسم أننى رأيته . أ أخدع نفسى إلى هذا الحد ، أم أن قلبا قد يحوى الحب . . يحوى الكراهية أيضا ، وفى نفس المكان .

العراف : يا ابنتى الإنسان غير قادر على أن يكون كما يريد . لذلك فهو يكره من يبدو أفضل . الخير فى هذه الدنيا هو الذى يخلق الشر . وما نتمناه هو الذى يفجر غضبنا على ما لانستطيعه . وأنوف كان الرجل الذى يريد أن يكونه الجميع ، ولم يستطيعوا ، فقتلوه .

تنوير : لم يقتله أحد . أنت نفسك قلت هذا .

العراف : بل قتل أيها السيد . وقاتله الذى يعرف أنه قاتله بين هذه الجدران .

الوالى : لم يبق سواك .

العراف : أنا خارج اللعبة .

الأميرة : تعرف الكثير عنها ، من يدخلك فيها .

العراف : لا أظن أن مولاتى تتهمنى .

الوالى : ولا أظنك تتهم امرأة بفعلة كهذه .

العراف : ولم لا ؟ لقد قُتل أنوف بالسم ، ولم يقتل برمح .

الوالى : أى هاتين المرأتين قادرة على هذا ؟ سفر هذه جاريتنا منذ زمن طويل ، ونعرف مدى رقتها .

العراف : هذه أخرجها من الدائرة .

الأميرة : فهو اتهام واضح لى !

تنوير : ولماذا تخرجها ؟

العراف : لأنها كانت زوجة أنوف .

[ينظرون إليه فى دهشة .]

الأميرة : هذه حماقة لا تحتمل . لقد كانت سفر دائما إلى جوارى . خاب حدسك فى هذه المرة أيها العراف . لقد أغراك صبر الوالى وصبر تنوير ، فشطح خيالك إلى مالا يقبله العقل . .

العراف : إذا كنت لا تعرفين ، فهذا لا ينفى الحقيقة .

تنوير : كان أنوف أخى . وأعرف عنه كل شىء .

العراف : وتعرف أنه كان زوجا لهذه المرأة ، وكنت شاهده على هذا الزواج . وتعرف القاضى الذى عقد لهما ، وما زال على قيد الحياة .

الأميرة : (لسفر) قولى إن هذا ليس صحيحا .

سفر : أخفيت حتى كدت أموت غماً ، فلن أستطيع الإنكار . كيف تطلبين منى يا مولاتى أن أنكر الرجل الذى عشت فى عينيه سنوات ، وكان أباً لأملى الذى مات رضيعا . ذلك الطفل ، الذى اسميناه حامدا ، ليكون له ذكر فى حياته ومماته . فلم يعش إلا شهورا ، وما تحدث عنه أحد حتى أنا . . أمه . لا تطلبى منى يا مولاتى أن أنكره ، فلقد تمزقت بإنكاره ألف مرة . وأنا أتجاهل اسمه يتردد . وأنا أسمع الحديث عنه بوجه بارد ، وقلب محترق .

الأميرة : إن رأسى يدور . أنا غير قادرة على احتمال كل هذا . أيخفى الوجه وراءه كل هذه الأسرار . نحن لسنا نحن . أكنا فى حاجة إلى هذا الرجل ليكشف عن أسرار تهز الدنيا كلها . ولا تهز قلب واحد منا . هذه المرأة التى اتخذتها صديقة ، وحكيت لها كل هواجسى ، وظننت أننى أعرف عنها حتى الخاطر ينوش عقلها ، أكتشف فى لحظة أننى خدعت بجهلى عنها . ما أبشع الإنسان .

العراف : صدقا ما تقولين ياأميرة . . ماأبشع الإنسان . . أحيانا .

سفر : وقد حَقّ لى أن أتحدث لأول مرة بعد عشرين عاما من زواجى عن الرجل الذى عشت له ، فلى أن أسألك عن قاتله .

العراف : ألم يتضح الموقف . إذا كان الجميع قد خرجوا منه . .

الأميرة : فلا يبقى إلاّى . لقد أرسل له الوالى ، وأرسل له تنوير أخوه . وأرسلت له أنا ايضا السمّ المدسوس فى الطعام . كلنا فعلنا ذلك ، وبطريقة متشابهة تدل على أننا نفتقد الخيال . ماذا تريد بعد ذلك ؟ ماذا تريدون ؟ أن تحددوا من القاتل . ما قيمة هذا . لقد وضعنا السهم فى القوس وأحكمنا التصويب ، وأطلقنا على القلب . بالضبط عندما انطلق السهم كنا تحته . بعد ذلك وصل السهم ، فقتل أو حاد دون ذلك شىء آخر فلا تحمّلونى أكثر منكم . فكلنا نفس القاتل .

سفر : ولكن لماذا ؟ لماذا أنت بالذات ؟ كنت دائما تذكرينه بكل خير .

الأميرة : كلنا كنا نفعل . جميعا كنا نحبه ، وجميعا كنا نبغضه . كنا نحبه لأنه كان البراءة ، وكنا نكرهه لأنه كان البراءة . الناس يرون ما نحن فيه . وينسون ما فعلناه لنصل إلى ذلك . لقد أعطيت عمرى لهذه الولاية . كنا نعبر بها النهر ، زورقا وسط التماسيح . وكان علينا أن نقود الزورق بحكمة . وكان أنوف يثقل الزورق . فكان علينا أن نلقى به ، حتى لو دميت قلوبنا ، فالهدف كان إنقاذ الزورق . وهذا لم يكن حياتنا فحسب ، بل كان الولاية كلها .

وكان على أحدنا أن يفعلها . فتقدمت أيدينا جميعا . وألقت به إلى الماء . فمات . وحملنا وزره ندما يؤرق القلب والعقل . وأيا كان ما فعلنا يغفره الهدف الأكبر . إنقاذ هذه البلاد .

سفر : أي هدف نبيل !!

تنوير : هـذا الرجـل يريـد أن يفسـد مـابيننـا ، فاحذروا . وأظنها مؤامرة .

الوالى : لا تحزن يا سفر. كان علينا أن نفعل هـذا . ولقد فعلناه . . ومنذ زمن طويل .

سفر : صـدقنى يا مـولاى أنـا أفهم . الأمر لا يحتاج إلى ذكاء كبير . كان أنوف خيرا وعدلا ومحبة ، فكان عليه أن يُقتـل . هذا مـا تقولـونه . وأنـا أصـدق . فـأنتم الحكمـة . ومع ذلـك فـأنـا الشخص الوحيد فى هذه الدنيا من اقصاها إلى اقصاها الذى لا يحتاج إلى تبرير . فموته يعنى النهاية . وعندما تصل النهاية يسقط كل شىء . حتى لو كان مظلوما لن يغير هذا شيئا بالنسبة لى . فعندما يحدث ، لا قيمة لأى شىء آخر . ولكن الكارثة أننـا لسنا دائما أذكياء . فنسـأل لماذا ؟ وكيف ؟ مع أن الموت جَبَّ كـل التساؤلات . ولوكانت الأسئلة تعيد الأنفاس إلى صدره لطويت الأرض ألف مرة متسائلة . وجمعت أشلاءه التى مزقتهـا الأيـدى . لكننى أعـرف أن ذلـك ــ للأسف ــ مستحيل .

الوالى : لقـد كنت أفهم دوافعى جيـدا . فلقـد كـان أنوف أحب إلىّ مما تدركون جميعا . ومع ذلك كان علىّ أن أفعلها . وأنا أفهم تنوير ، رغم أن أنوف أخـوه . لكننى ما كنت أظن أن الأميرة تفعـل هـذا . إلا بشـير مـا حـدث ــ بفعلتهـا ــ إلى الضـرورة . فأن تشـارك امـرأة رقيقـة فى شىء كهذا ، يعنى أنه كان لابد منه .

الأميرة : أنسيَ مولاي أنى شاركت فى خير هذه البلاد سرا وجهرا . أرقت لمآسيها . وقدمت مـا فى عنقى ويـدى من در وذهب عند الحـاجة . وسهرت على راحتها .

العراف : فى تـلك الـليلة التى مـات فيهـا أنـوف تسـاقطت الأمـطار ثلجاً لعب فيه الأطفال فى الصباح . وإذا كنتم قد نسيتم كان ذلك فى نهاية الشهر ، وكان الظلام يلون المدينة كلها . وساعد هذا الأميرة على أن تتسلل إلى السجن دون أن يراها أحد . .

الوالى : [بدهشة] بنفسها :

العراف : لكن لا شىء عـلى هـذا التـراب لا يُـرى . ولا شىء يـرى لا يُـذكـر . ولا شىء يـذكـر لا يخلد .

تنوير : هذه مغامرة لا معنى لها . كان يكفيك أن ترسلى له .

سفر : إحكام فى العمل . فمولاتى عندمـا تفعل شيئـا تحب إتقانه .

الأمير : لا يحـاسبنى أحـد . فجميعكم ذبحتـمـوه ، وحتى أنت أخفيت زواجـك منـه ، أو قبلت إخفـاءه . وأخفيت ولده حتى جهلنـاه جميعـا . لا يواجهنى أحدكم إلا إذا كان نظيف اليدين .

الوالى : لسنـا نـزعم هـذا . ولكن مـا الـذى يـدفـع سيدة جليلة إلى مكان كهذا ؟

العراف : حاول أن تعرف .

تنوير : أكنت أصدقَ عزْما منا جميعا ؟

الأميرة : كنت دائماً هكذا .

سفر : وأقسم أننى أعرف أن عزمك دونه عزم الرجال . لكننى لست أفهم كيف تدعين دفء الفراش فى ليلة ثلجية لتدسّى بيديك النبيلتين هاتين السم لرجل فـرش قلبه بسـاط ليسير عليـه الجميـع ، ونحن منهم .

الوالى : ولا أنا أفهم هذا .

سفر : وأنـا لا أفهم . لكن حـدْس المـرأة أحيـانـا يكـون أكبـر من العقـل . ولا يفهم المرأة إلا امرأة . وأنا لا أتسلل تحت عذاب الرياح الباردة لأقتل ، إلا إذا كان لهدف غير كل ما قيل . فلم يكن الثـأر لكرسى . ولا لأحـد . كـان الثـأر للأنثى .

الأميرة : أنت مجنونة . ولا أدرى ماذا تقصدين ؟

سفر : المرأة لا تكشف عن مخالبها إلا عندما يتمزق قلبها .

تنوير : سادتى . لا يصح أن ننزل إلى هذا المستوى . فنحن أشرف الناس ، وأحكمهم ، وأنبلهم . وحديث كهذا لا يليق إلا بالسوقة .

سفر : إذا كان علينا أن نتصارح . فأنا أعرف . . وأنت تعرف . . وكلنا يعرف أننا إذا أغلقت الأبواب ، وأسدل الحجاب ، دون مستوى السوقة . ودون معاناتى فى التذكر ، فكلنا علينا أن نخجل من أنفسنا .

الأميرة : أنا لا أخجل من نفسى . فمنذ أن زُفِفْت إلى الوالى ، وحتى اللحظة ، وثوبى أنظف من ثوب عذراء .

العراف : لما لا نتحدث عن القلب ؟

الأميرة : نتحدث فى شىء آخر .

العراف : أتساءل عن القلب ؟

الأميرة : ليس ملكا لأحد .

العراف : أكنت تحبين أنوف ؟

الأميرة : [منفجرة] أى شرير دجال . لا كرامتى ، ولا عراقة أصولى ، ولا مسئوليتى . . تسمح لى أن أهين نفسى مع شخص آخر .

الوالى : الرجل يسأل عن القلب . فأجيبى .

الأميرة : لقد أحببت .

الوالى : لا . لم تفعلى . هذا الرجل جاء بالحق والباطل معا . قال إننا نعرف كل ما سيقوله ، وهذا صحيح . فكل ما قاله كنا نعرفه ، لكننا كنا نخفيه فى الأعماق ، إلى حد أننا نجهله . أتذكر الآن . ولا أدرى كيف نسيت ، أن أنوف كان يسعى للزواج منك قبل أن تتزوجى منى . .

الأميرة : وحتى لو حدث هذا . ماذا يغير ذلك فى الأمر ؟ تلك كانت فترة الصبا بمشاعرها الفجّة ولقد انتهت يوم تزوجنا . ولنتحاسب منذ هذا اليوم .

سفر : رجل كنت تحملين له حبا قديما لماذا تسعين إليه فى الظلمة الباردة ؟

الأميرة : ما كنت أسعى إليه عاشقة . بل كنت أريد أن أخلص الولاية منه ، بعد أن صار خطراً عليها .

الوالى : لكنك سعيت إلىّ لأخرجه من حبسه

الأميرة : وأنت أيضا اغرورقت عيناك وأنت تتحدث عنه . وقلت إنك ستخرجه .

الوالى : كنت أحبه ، ولكن ليس بالحب تُساس الدول .

الأميرة : وكنت لا أكرهه ، لكن السفينة لا تحتمل سوى ربان واحد .

تنوير : ما أفظع ما يحدث . الموتى يلقون بظلهم علينا .

سفر : لأننا الذين قتلناهم ، فاستراحوا وتعذبنا .

العراف : الإنسان يحمل بما لايصدق أنه يحمله . فعندما يولد الطفل يرث كل عذاب البشرية عبر القرون ، ويضيف إليه خطاياه . ولا ينتهى كل هذا إلا بموته . وطالما كنتم على قيد الحياة ، سيعذبكم أنوف .

الوالى : [للأميرة] أذهبت له حقا لمجرد القتل ؟

العراف : كانت الأميرة تحمل فى يمناها طبقا فيه الحلوى . . وفى يسراها مفتاح الحبس .

الوالى : تحمل مفتاحاً ؟ لماذا ؟

الأميرة : لا أذكر .

العراف : جئت لأذكركم .

الوالى : لماذا كنت تحملين المفتاح ؟

سفر : أليس الأمر واضحاً يا مولاى . أيحتاج خيال أنثى للوصول إلى الحقيقة . لقد كان أنوف مخيراً بين الخروج من الحبس وبين الموت .

الأميرة : ليس هذا صحيحا .

العراف : حتى لو كان هناك من سمع حديثكما ، ومازال على قيد الحياة ، ولن يكتم هذه الشهادة ، فما رآه فى هذه السراديب طوال سنوات جعله يريد التكفير عما حدث بالصدق . لو كان ممكنا التكفير عن شىء كهذا .

الأميرة : تلفون وتدورون لتعرفوا . أنا لا أخشى

الحقيقة . فأنا ملكت نفسى . وحافظت على نفسى طاهرة طوال هذه السنوات . لكن خفق القلب ليس بيد أحد . كان أنوف أول حب فى حياتى . وأنا امرأة عاقلة . وأعرف أن الحب الأول يولد ليدلنا على الطريق ، ثم يموت مع الزمن . لكن الكارثة أنه كان الحب الوحيد . وما كنت أدرك هذا . كان راقدا ملتهبا ، جمرات ساخنة تحت الرماد . وربما كان سيظل هكذا أبد الدهر ولكن الملل نفض الرماد . هذه الحياة الآسنة . المليئة بكل المباهج المزيفة ، نفخت فى الجمر ، فإذا به حريق ملتهب . فدفعنى إليه . أردت أن أكسب قلبى ، وأخسر كل السلطان والجواهر والراحة . لكنه ما أراد ذلك . فعدت كما كنت . وتراكم الرماد مرة أخرى . وكان عليه أن يموت فمات .

الوالى : لست أدرى ما أقول . فجيعتى بلا حدود . تمزق القلب فى ساعة ، وأنا الذى كنت أسعى لراحته .

العراف : لا أظن أن مولاى كان يجهل ذلك .

الوالى : [غاضبا] أكنت أصمت لو عرفت أن زوجتى ذهبت إلى رجل لتهرب معه .

العراف : لكنها لم تفعل .

الوالى : وما الفرق ؟

العراف : أنا الذى أسأل . ففى رأيى ، ولا تعوّل كثيراً على رأيى ، أن النية تساوى الفعل . وأنك عندما انتويت قتل أنوف . فلقد فعلت . وأن تنوير عندما انتوى قتل أنوف ، فلقد فعل . وأن الأميرة عندما انتوت الهرب معه ، فلقد فعلت . لكن للأمر حسابات أخرى . والذكى من يحسبها . فلا أنت تريد فقدها ، ولا أسرتها التى تسند كرسيك . ولا أنت الرجل الذى يحب أن يهز صورته أمام العامة . وفرحك بالخلاص من أنوف كان أقوى من أى شىء آخر .

الوالى : هذا سخف

العراف : وجاريتك التى أرسلتها صَدَف أنها عرفت بالأمر من صديقها السجان ، فنقلته إليك . لكنها أبدا لن تكون شاهدا على ما نقول . فنفس الطعام الذى حملته تذوقته . فالإنسان قادر على احتمال الندم ، لكنه غير قادر على أن يسمع أخطاءه من شفاه الآخرين .

سفر : قولوا إن هذا كله حلم . فلست قادرة على احتماله . هذا الطيب الذى كان زوجاً رقيقاً ، كان أيضا إنساناً يحبه الجميع . ويوم حبس قلنا أزمة وتزول . غضب وينتهى . ضرورات الحكم . ولكن ها أنا أرى الجميع يتسابقون إلى قتله . وها هى المرأة التى ظننت أننى قد خبرت أرق مشاعرها ، أراها عاشقة لزوجى وأنا لا أدرى . وها هو الأخ الذى أحبه أنوف ودفن طفْلَنَا الميت بيديه يسعى لقتل أخيه .

العراف : أكان تنوير هو الذى دفن خالد بن أنوف ؟

تنوير : [غاضبا] وهل هذه تهمة ؟

سفر : لا أظنك تتهمه بشىء كهذا . ولكن لم لا . ألم يحاول قتل أخيه ، فلماذا لا يقتل ابن أخيه . ولكن لماذا ؟ كان مجرد رضيع .

العراف : أيتها الساذجة . لم يكن خالد بن أنوف مجرد رضيع .

تنوير : هذه التلميحات لا تُطاق .

الوالى : أنا معك . وأنوف على حبنا له كان خطراً على الولاية . ولذلك حاولنا معه ما حاولنا . أما أن يفعل أحد شيئا مع رضيع . فهذا ما لاأصدقه .

الأميرة : دعوا الرجل يتكلم . أتطربون عندما يتهم الآخرين ، وتريدون إسكاته عندما يتكلم عنكم ؟ لقد أردتم الوضوح . فى الحقيقة لم ترغبوه . لكنكم وافقتم ولو مرغمين . ليكن . علينا أن نغوص فى الحقيقة إلى أعماق الوَحل . لقد اصطنعنا السعادة . وعشناها بهجة على بشرة الوجه . واليوم نفقد السعادة المصطنعة فلنكن قدر الموقف ، ونفقد السعادة فى تماسك . ما كرهنا سوى الحقيقة . ولكن إذا كان علينا أن نواجهها ، فلما لا نفعل . ولتكن هى المرة الأخيرة .

العراف : هذا يحتاج لأن نرتب بعض الأشياء . فهذا الرضيع لم يكن يقل خطورة عن أبيه .

سفر : لست أفهم كيف يكون رضيع خطراً .

العراف : وهذا ما أحاول شرحه يا أبتى . تستدعى التصير . فالموقف معقد جداً ، رغم أنه بسيط جداً . ولو أتيت برجل من السوق لأدركه فوراً . لكنكم عشتم حكماً لسنوات وأنتم تفهمون شيئاً آخر ، أو تصطنعون فهم شيء آخر . فليس سهلاً أن تنزعوا عنكم الثياب وتقفوا عراة .

سفر : أرجوك يا سيدى لا تطل . فهذا طفل الوحيد . وعندما فقدته . فقدت معه ما هو أكثر من الحياة . . مذاقها . وأحس أنى أفقده الآن مرة أخرى .

العراف : الحقيقة تصل بغوص إلى أعماق القلب ، فاحتملها . . واحتملوه . كان خالد وارث أنوف . ومن هنا كان خطراً فى مهده . وكان الجميع يتربصون به بالضبط كما يتربصون بأبيه . وبدأ بالساحة واحداً . . واحداً . . فى البداية الأميرة .

الأميرة : أنا لم أكن أعرف بوجوده .

العراف : تقصدين أنك تجاهلت وجوده . لقد أحببت أنوف صبياً . وكان الحب الوحيد فى حياتك . هكذا قلت . ولكن الرياح دفعت شراع السفينة فى اتجاه آخر . والحب لا تقتله الرياح . ولأنك مثل الجميع تمتلكين ألف عين ، عرفت أن أنوف قد تزوج سراً بجاريتك . وكان عليك آنئذ إما أن تغضبى وتفقدى الأمل . وكنت بارعة إذ تجاهلت كل شيء . وعندما وُلد خالد عرفت . فلا أسرار تخفى عليك . وبالتأكيد كرهته . هذا إحساس طبيعى .

الأميرة : لكنه مات كما يموت أى طفل . وإذا لم يكن قد حدث هذا . فلست أنا . فالمرأة يا سيدى إن كنت لا تعرف لا تقتل وليداً . لقد ارتعشت وأنا أقدم الطعام إلى أنوف ، وتمزق قلبى ألف قطعة . لكن كل ذلك دون الخاطر الذى يشى به كلامك . أنا لم أغفر لنفسى أنى فعلت ما فعلت بأنوف . لكن لو كان قد حدث للرضيع شيء كهذا ما غفرت للدنيا كلها .

العراف : أصدقك . رغم أن الطفل كان عائقاً فى طريقك . . وتنوير . .

تنوير : [مقاطعا] دع تنوير فى حاله . لقد كان ابن أخى .

العراف : وكنت طامعا فى الوزارة . وخلا لك الجو بعد حبس أنوف . ومارست لذة الجلوس على الكرسى فرأيت الطفل منافساً على المستقبل .

تنوير : هذه مبالغة لا يقبلها عقل .

العراف : لكنها قد تصل إلى أى عقل . ومع ذلك فلقد كان دافع الوالى أقوى . .

الوالى : أنا ! ولماذا ؟ أينافسنى الطفل على الوزارة؟!

العراف : ربما على الولاية .

الأميرة : رغم أننى أريد أن أعرف الحقيقة إلا أن هذا كثير . فالولاية هى حق الوالى أباً عن جد . ولا أظن أن هناك من يخطر على باله منافسة الوالى فى شيء كهذا .

العراف : إلا إذا كان له حق الميراث .

سفر : كان خالد بن أنوف .

العراف : أعرف . وبهذا كان له حق وراثة الولاية .

الوالى : أى مجنون . عتهك هذا يكذب كل ما قلت .

العراف : رغم أنك الوحيد فى هذا المكان الذى يعرف صدق ما أقول .

سفر : سيدى . عقلى لا يحتمل الإسهاب .

العراف : الوالى السابق فعل بالضبط ما فعله أنوف . تزوج سراً من جارية .

الوالى : لن أسمح بإهانة الموتى .

العراف : أنا لا أفعل . فقط أحكى ما حدث .

الوالى : أمنعك من الحديث عن أبى .

الأميرة : تحدثنا فيما هو أخطر . تكلم أيها الرجل .

الوالى : [لتنوير] أقتل هذا الرجل . هذا أمر .

تنوير : مولاى . أحس أن ما يقال يهمنى .

الوالى : أتعصى لى أمراً .

تنوير : لقد سمح له مولاى بالكلام من قبل ، فلماذا يريد إسكاته الآن .

الوالى : أتغامر بكرسيك يا تنوير .

الأميرة : على كل الحقيقة أن تقال ، وتعرف

العراف : مابدأ لا يتوقف . تزوج الوالى السابق سراً كما قلت لكم .

الوالى : سأقتلكم جميعا . .

العراف : وانجب أنوف . .

[تبدو عليهم الدهشة جميعا .]

تنوير : لا أصدق هذا . أنوف أخى . وأنا أعرف ذلك .

العراف : اضطر أبوك أن يتبنى أنوف ليحمى الوالى السابق من غضب أبيه وأسرته ، ثم ليحمى سلطانه .

الأميرة : هذا كثير . أكانو يدللون أنوف ويقربونه ونحن صبية لهذا .

الوالى : هذه مؤامرة . أنتم تريدون التشكيك فى حقوقى

تنوير : [للوالى] أنت الذى أغريتنى بقتله .

سفر : وقتلته !

تنوير : لا . لم أفعل . فى النهاية هو مجرد طفل . أعطيته لعابر سبيل ، وأعطيته كيساً من النقود .

العراف : وأخذه الرجل وهو لا يعرف الحقيقة . ورعى الطفل حتى كبر .

سفر : خالد مازال يعيش . أيها الغريب . لعلك لست واهما . فأنت تزرع فى العقم أعظم الأشجار . أنت لا تعرف ما تهب . أنت تمنحنى الدنيا كلها ، وماخيرت بينه وبين الدنيا لاخترته . قل إنك تنسج أحلاماً ، فالفرحة قد تقتل قلبى . عرفنى عليه ولك حياتى ، أشم فى كتفيه الأمل الذى ذبل . أرى فى عينيه دنياى التى راحت .

العراف : الطريق طويل .

سفر : أمشى إليه بقية عمرى إلا ساعة .

الوالى : وضحت المؤامرة الآن . أنتم تريدون انتزاع الولاية منى . ومن يفعلها ؟ أقرب الناس إلىّ .

تنوير : مولاى . نحن لم نفعل . أنت الذى ضللتنى ، فجعلتنى أضيع من كان يستحق هذا المكان .

الوالى : هذا اعتراف بالتآمر يا تنوير .

الأميرة : لا تبحثوا عن الوهم . لقد مات أنوف . وعندما مات ماتت أشياء كثيرة . ولن نستطيع أن ننفخ الروح فيها . لو كان حيا لكان لوجود ابنه معنى . ربما . ولشغله أو شغل أى شخص آخر ما يستحق . ولكن بموته انتهى كل شىء . وضاع خالد بن انوف .

سفر : لا . ابنى لم يضع . لم أعثر عليه بعد . فكيف يضيع . لا أريد له شيئا سوى أن يكون حيا . أريد أن ألمس يده . اجعلنى أيها الغريب أراه .

العراف : الطريق طويل .

سفر : أمشيه حافية القدمين ، عارية الرأس .

العراف : أدلك عليه ، ولك الخيار .

سفر : أشر إليه فقط .

العراف : خالد بن أنوف . . هو نفسه بدر البشير .

الوالى : قائد العصيان . اتضحت المؤامرة .

العراف : لكنه لا يعرف .

الوالى : بل يعرف . إنها مؤامرة .

العراف : أعرفت طريقك يا امرأة ؟

سفر : ليته كان أبعد ، ليكون فى قدر شوقى .

العراف : سادتى لعلكم قد تسليتم . فإذا لم تكونوا قد أعود لكم . وإذا لم أعد وأردتم أن تعرفوا ما خفى ، فتشوا داخلكم . فما يظهر من الإنسان ليس أكثر مما يظهر من البحر على سطحه . ولو أردتم لن تحتاجوا إلىّ . وداعاً .

[ويخرج . والصمت يسود الجميع . قبل أن ينفجروا فى وقت واحد تقريبا] .

سفر : ابنى . أريده .

الوالى : مؤامرة .

سفر : أسعى إليه عمرى .

تنوير : خديعة .

[تنفجر الأميرة فيهم]

الأميرة : صمتا !
ماذا قال هذا الدعى لا نعرفه .

سفر : أنا لم أكن اعرف أن ابنى يعيش .

الأميرة : ربما . وإن كنت لا أصدق هذا .

الوالى : لن يمر ما حدث بسُهُولة .

الأميرة : بـل سيمـر . مـاذا كشف لنـا ؟ لا شىء . كنت أحب أنوف . وكان الوالى يعرف . لكنه كان يتجاهل هذا ، وكنا سعيدين . وكان أنوف الأخ الأكبر للوالى ، والأحق بالـولايـة ، وكنـا نعـرف ، لكنـا تجـاهلنـا ، وسـارت الأمـور . وتزوجت سفر من أنوف . وكنا نعـرف . لكننا أغمضنا العين . وكـانت قمة الحكمـة . وقتلنا أنوف . . جميعا قتلناه . وكان هذا عملاً طيبا . كل ذلك لنكون من نحن . وما أجملنا . لا أحد فينا يحبـه الأخـر . لكن مـا أجملنـا . النـاس يحسدوننا على ما نحْن فيه . لا أحد فينا يثق فى الأخر . لكن ما أجملنا . فكل منّا يحتاج للآخر . لتسقط ذاكـرتنـا هـذه السـاعـة . ومـا أكـثـر ما تسقط . ولنعد كما كنا ، فنحن لن نسـتطيع الاستغناء عن كل مـا حصلنا عليـه . ولنواجـه الناس بابتسامة . ما فى القلب فى القلب ، لكن ما أجملنا .

[يدخل الحاجب ومعه العراف الثانى]

الحاجب : مولاى .

الوالى : [صارخا] أين كنت ؟

الحاجب : كنت آتى بالعراف .

تنوير : لقد أتى فعلا .

الحاجب : أتى ؟ لم يدخل أحد هذا المكان .

الوالى : أتى لنا عراف آخر .

الحاجب : مولاى . لقد كنت على الباب طول الوقت .
[يتبادلون النظرات فى صمت]

الوالى : لا أفهم ما يحدث .

الأميرة : هذا صحيح . أحيانا لا نفهم ولكن ما أجملنا .

[ستار]

نهاية العرْض

أسفى إذا كنت قد أفسدت ليلتكم بقصتى . فأنتم تقصدون الحكائين والمهرجين والراقصين والمغنين حتى تبتهجوا . أسفى إذا كنت قد حرمتكم الأحلام السعيدة هذه الليلة . فلو كنت قد فعلت . ويالحزنى لو أننى فعلت . انسوا كل مـا حدث . أسدلوا ستاراً على الذاكرة ، وعودوا كما كنتم ، وسترون كم أنتم عظماء . نبلاء . فرسان . وفى الحالتين دعونى أنسحب إلى وحدتى. وأقول لكم . . وتقولون لى : وداعا !

القاهرة : محفوظ عبد الرحمن